السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٨)

تَمْهِيْدٌ لِلْهِجْرَةِ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَعَادَ المُبَايِعُونَ إِلىٰ يَثْرِبَ

وَبَعْدَ انْتِهاءِ مَرَاسِمِ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ انْصَرَفَ السَّبْعُون مُتَّجِهِيْنَ إِلىٰ مَوْطِنِهِمْ يَثْرِبَ .

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْها تَحَوَّلُوا إلىٰ دُعَاةٍ لِهَذَا الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ، وَكَانَتِ البِدَايَاتُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، كَالزَّوْجَةِ ، وَالأَوْلادِ ، ونَحْوِ ذَلِكَ .

وَشَاءَ اللهُ تَعَالىٰ أَنْ يَدْخُلَ قِسْمٌ كَبِيْرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ في الإسْلامِ ، وَكَانَ لإِسْلام بَعْضِ النَّاسِ حِكَايَةٌ فِيْهَا العِبَرُ ، مِنْ ذَلِكَ إِسْلامُ

عَمْرو بْنِ الجَمُوْحِ ، وَكَانَ مِنْ سادَاتِ بني سَلَمَةَ .

وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ في دَارِهِ صَنَماً مِنْ خَشَبٍ ، يُقَالُ لَهُ : مَنَاة!

وَلَمَّا حَضَرَ وَلَدُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بَيْعَةَ العَقَبَةِ ، وَسَمِعَ مَا سَمِعَ ، وَرَأىٰ مَا رَأىٰ ؛ أَيْقَنَ بِوَاجِبِ الدَّعْوة إِلىٰ اللهِ ، فَكَيْفَ يَجْعَلُ وَالدَهُ يَسْتَغْنِي عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَالأَصْنَامِ ، وَيَتَوَجَّهُ إلى عِبَادَةِ الله ربِّ العَالَمِيْنَ ؟!

ذَاتَ لَيْلَةٍ اتَّفَقَ فتيانٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ ، فِيْهِمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو مَعَهُمْ بَعْضُ الشَّبَابِ الَّذِيْنَ أَعْلَنُوا إِسْلامَهُمْ حَدِيثاً ، اتَّفَقُوا عَلىٰ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ صَنَمِ عَمْرٍو أَدَاةً

للسُّخْرِيَةِ ، والاسْتِهْزَاءِ .

ففي أوَاخِرِ الليْلِ ، تَسَلَّلَ الفِتْيَانِ إلى حَيْثُ الصَّنَم ، فَحَمَلُوه ، وَطَرَحُوهُ في حُفْرَةٍ كَانَ النَّاس يَرْمُون فِيْها القَاذُورَاتِ وَالأَوْسَاخَ!

وَلمَّا كَانَ الصَّباحُ ، اسْتَيْقظ عَمْرو بْنُ الجَمُوحِ ، وَتَوَجَّهَ إلىٰ حَيْثُ الصَّنَم ، فَرَآه مُنَكَّساً علىٰ رَأْسِهِ في الحُفْرَةِ ، فَصَاحَ : وَيْلَكُم! مَنْ عَدَا عَلَىٰ آلِهَتِنَا هَـٰذِهِ اللَّيْلَةَ ؟

وانْكَبَّ علىٰ الصَّنم ، فَحَمَلَهُ ، وَغَسَّلَهُ ، وَطَهَّرَهُ ، وطَيَّبَهُ ، ثمَّ قَالَ : أَمَا وَالله! لَوْ أَعْلَمُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لأُخْزِيَنَّهُ!

وَفي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، أَقْدَمَ الفِتْيَان عَلَى مِثْلِ مَا فَعَلُوهُ مَعَ الصَّنمِ في اللَّيْلَةِ الأُولىٰ!

وَلمَّا جَاءَ عَمْرٌو وَوَجَدَ الصَّنمَ في الحُفْرَةِ ؛ قال يُخاطِبُهُ : إنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَم مَنْ يَصْنَع بِكَ مَا تَرَىٰ ، فَإِنْ فِيْكَ خَيْراً فَامْتَنِعْ فَهَذا السَّيْفُ مَعَكَ! وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَوَضَعَهُ علىٰ رَقَبَةِ الصَّنَمِ ، وَانْطَلَق إلىٰ فِرَاشِهِ ؛ لِيَنَامَ .

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ تَسَلَّلَ الفِتْيَانُ إلى المَكَانِ ، فَأَخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبَاً مَيِّتاً ، فَرَبَطُوهُ بِهِ بِحَبْلٍ ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ في بِئْرٍ مليءٍ بِالقَاذُوْرَاتِ!

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عَمْرٌو ؛ لَمْ يَجِدْ صَنَمَهُ في مَكَانِهِ ، فَتَتَبَّع الأَثَرَ ، فَرَأى الصَّنَمَ مَقْرُوناً بِكَلْبٍ ميِّتٍ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَنَ صِدْقَ مَا سَمِعَ عَنِ الدَّعْوَةِ

إلى الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ، وَعَلِمَ تَمَاماً : أَنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ البَاطِلَ .

وانْطَلَقَ إلىٰ البَيْتِ ، فَاغْتَسَل ، وتَطَهَّر ، ثُمَّ أَعْلَنَ الشَّهادَتَيْنِ ، وَحَمِدَ اللهَ وشَكَرَهُ علىٰ أَنْ أَنْقَذَهُ مِنَ العَمَىٰ ، وَالضَّلالَةِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ يخاطِبُ الصَّنَم :

وَاللهِ لَـوْ كُنْـتَ إِلَهـاً لَـمْ تَكُـنْ
أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئرٍ في قَرَنْ[1]
أُفٍّ لِمَلْقَـاكَ إلهـاً مُسْتَـدَنْ[2]
الآنَ فَتَّشْنَاكَ عَنْ سُوْءِ الغَبَنْ
الْحَمْـدُ اللهِ العَلِـيِّ ذِيْ المِنَـنْ
الوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ

---

(١) أي : حَبْل .

(٢) أي : خسيس .

هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ
أَكُوْنَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرتَهَنْ
بِأَحْمَدَ المَهْدِي النَّبِيِّ المُؤْتَمَنْ

* * *

الإِذْنُ النَّبَوِيُّ بِالْهِجْرَةِ

وازْدَادَ حِقْدُ المُشْرِكِيْنَ في مَكَّةَ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا عَلِمُوا بِخَبَرِ انْتِشَارِ الإِسْلامِ في يَثْرِبَ انْتشَارَاً سَرِيْعاً ، فَقَرَّروا زِيَادَةَ التَّعْذِيْبِ والضَّغْطِ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ ، وَلِذَلِكَ كَانَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ ، وَيَتَوَجَّهُوا إِلىٰ بَلَدٍ آخَرَ ، يَسْتَطِيْعُونَ فِيْهِ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِيْنِهِمْ دُوْنَ خَوْفٍ.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَىٰ رَسُولُ الله ﷺ في المَنَامِ أَنَّه مُهَاجِرٌ مِنْ مَكَّةَ ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بَشَّر

أَصْحَابَهُ بِقَوْلِهِ :

« رَأَيْتُ في المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إلى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلِي[1] إلىٰ أَنَّها اليَمَامَةُ أَوِ البَحْرَيْنِ ، فَإِذا هِيَ المَدِيْنَةُ يَثْرِبُ » .

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّام أَكَّدَ الرَّسُولُ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ البِشَارَةَ مَرَّةً أُخْرىٰ ، وَزَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « قَدْ أُخْبِرْتُ بِدَارِ هِجْرَتِكُمْ ، وَهِيَ يَثْرِبُ ، فَمَنْ أَرَادَ الخُرُوجَ ؛ فَلْيَخْرُجْ إِلَيها » .

وَفَرِحَ المُسْلِمُون بِذَلِكَ الإِذْنِ النَّبَوِيِّ ، فَرَاحُوا يَتَجهَّزونَ وَيَتَوافَقُوْنَ وَيَتَواسَوْنَ ، وَيَخْرُجُون خِفْيَةً مِنْ مَكَّة.

---

(١) أي : ذهب وَهْمي .

تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ العَقِيْدَةِ

لَـٰكِنْ يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ : هَلْ كَانَ طَرِيْقُ الهِجْرَةِ مَحْفُوفاً بِالوُرُودِ وَالرَّيَاحِيْنِ ؟

لا! فَقَدْ لاقَى المُهَاجِرُونَ الكَثِيرَ مِنَ المَصَاعِبِ ، فَبِالإضَافَةِ إِلىٰ أَنَّهُم قَدْ تَرَكُوا في مَكَّةَ عَقَارَاتِهم وبُيُوتِهِمْ ، وَتِجارَتِهِمْ.. وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَجْلِ النَّجَاةِ بِالعَقِيْدَةِ ، إِضَافَةً إِلىٰ ذَلِكَ فَقَد تَحَمَّلُوا في الطَّرِيقِ إِلىٰ يَثرِب الكَثيرَ مِنَ المَخَاطِرِ.. ، مِنْ ذَلِكَ مَثَلاً حِكَايَةُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا ، وَمُلَخَّصُهَا تَرْوِيه هِيَ ، فَتَقُول :

لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الخُرُوجَ إِلىٰ المَدِيْنَةِ رحَّلَ لي بَعِيْرَهُ ، ثُمَّ حَمَلَني عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ مَعِي ابني سَلَمَةَ في حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجَ بي يَقودُ بي بَعِيْرَه .

فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي المُغِيْرةِ بْنِ عَبْدِ الله ابْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزومٍ ؛ قَامُوا إِلَيْهِ .

فَقَالوا : هَـٰذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْها ؛ أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَنا هَـٰذِهِ ؛ عَلامَ نَتْرُكَكَ تَسِيْرُ بِهَا في البِلادِ ؟!

قَالَتْ : فَنَزَعوا خِطَامَ البَعِيْرِ مِنْ يَدِه ، فَأَخَذُوني مِنْهُ .

قَالَتْ : وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الأَسَدِ رَهْطُ أَبي سَلَمَةَ ، قَالُوا : لا والله! لا نَتْرُكُ

ابْنَنَا عِنْدَهَا ؛ إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا .

قَالَتْ : فَتَجاذَبُوا ابْنِي سَلَمَة بَيْنَهم حتَّىٰ خَلَعُوا يَدَهُ ، وَانْطَلَق بِهِ بَنُو عَبْدِ الأَسَدِ ، وَحَبَسَنِي بنو المُغيرة عِنْدَهُمْ ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إلىٰ المَدِيْنَةِ .

قَالَتْ : فَفُرِّقَ بيْنِي وَبَيْنَ زَوجِي وَبَيْنَ ابْنِي ، قَالَتْ : فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فأَجْلسُ بِالأَبْطَحِ ، فَمَا أَزَالُ أَبْكي حتَّىٰ أُمْسي ، سَنَةً أَوْ قَرِيباً مِنْها ، حتَّىٰ مرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بني عَمِّي أَحَدُ بَنِي المُغِيْرَة ، فَرَأىٰ مَا بِي ، فَرَحِمَنِي ، فَقَال لِبني المُغيرة : أَلاَ تَتحرَّجُون - أَيْ : تَتَضَايَقُوْن - مِنْ هَـٰذِهِ المِسْكِيْنَة ؟

فَرَّقْتُم بَيْنَها وَبَيْن زَوْجِها ، وَبَيْنَ وَلَدِهَا ،

فَقَالوا لِي : الْحَقِي بِزَوْجِكِ ؛ إِنْ شِئْتِ .

وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي ، فارتَحَلْتُ بَعِيْرِي ، ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي ، فَوَضَعْتُه في حِجْرِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيْدُ زَوْجِي بِالمَدِيْنَةِ ، وما مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ .

حتَّىٰ إِذَا كُنْتَ بِالتَّنْعِيْم لَقِيْتُ عُثْمانَ بْنَ طَلْحَة ، فَقَالَ لي : إِلىٰ أَيْنَ يا بِنْتَ أَبي أُمَيَّةَ ؟

قُلْتُ : أُرِيْدُ زَوْجِي بِالْمَدِيْنَةِ .

قَالَ : أَوَمَا مَعَكِ أَحَدٌ ؟

قُلْتُ : لا وَاللهِ إلا اللهُ ، وَبُنَيِّ هذا .

فَأَخَذَ بِخِطام البَعِيْرِ ، فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِيْ ، فَوَاللهِ ما صَحِبْتُ رَجُلاً مِنَ العَرَب قطُّ أَرَىٰ أَنَّه كانَ أَكْرَمَ مِنْهُ ،... وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حتَّىٰ

وَصَلْنَا المَدِيْنَةَ ، فَقَالَ لِي : زَوْجُكِ في هَـٰذِه القَرْيَةِ ، فَادْخُلِيْها عَلىٰ بَرَكَةِ الله ، ثُمَّ انصَرَفَ رَاجِعاً إِلىٰ مَكَّةَ!!

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *